ألفريد دى موسيه

بين العبقرية والحب !...

للأستاذ صلاح الدين المنجد

سلك ألفريد دى موسيه فى شعره طريقاً ما سلكه أحد قبله . فلقد أذاب أناته عبرات فى قصائده وأخرجها للناس ، فإذا فيها معان رائعة لا تنفد : تبسم بالذكرى ، وتموج بالزفرات ، وتنم بوقد الجوى ساعة ، وعطر الهوى ساعات ...

وإنك لتجد فى حياته الخاصة أطاريف كثيرة تتجلى فى حبه اللاهب وصباه الفاجر وطفولته اللاهية . فقد كان فتى غرانقاً يخلب نساء ، ذا شعور من ذهب استرسلت إلى كتفيه . وكان أنيقاً فى لباسه، رقيقاً فى طباعه ، رفيقاً بأصدقائه . حفلت طفولته بالترف والنعيم ؛ فقد كان أبوه ذا يسار وسعة ، فنشأه تنشئة فيها إدلال وتنومة ؛ يلهو فى النهار مع ابنة عمه بين الزهر ، ويصغى فى المساء إلى أحاديث عمه عن نابليون — الذى كان آنئذ قد ملأ الدنيا وشغل الناس — وأقاصيص جده عن الأيام الخوالى ، وأعاجيب «ألف ليلة وليلة» و «دون كيشوت» ، وغيرها ؛ فكان يشعر بلذة عميقة فى تخيل تلك العوالم التى تفيض بالحب، وترف بالبطولة، وتسجو بين السعود والنحوس .

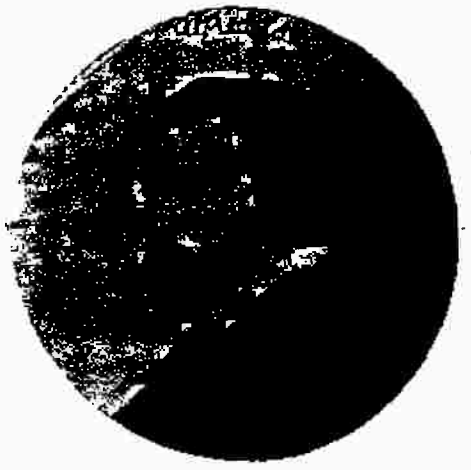

ألفريد دى موسيه

وعشق شاعرنا ابنة عمه ، ولما يبلغ الرابعة من عمره ؛ وقد كانت تقص عليه تحت الشجر وبين الزهر أحلى الأقاصيص فسألها الزواج ذات يوم ، وهو لا يدرى من أمره شيئاً . فضحكت منه . وتضطر بعد شهور إلى الرحيل عنه ، فيبكى لفراقها ، ويحزن لبعدها ؛ وتكون هذه الدموع أول ما ذرف الشاعر فى سبيل الحب ...

وكان لهوه وترفه يدفعانه إلى أعمال فيها عبث الطفولة الساخر الذى لا يخشى شيئاً ، أو يحابى أحداً ؛ فلقد ألقى بكرة البليارد يوماً على مرآة فى البهو فحطمها ، وعمد إلى مجف الصالة فى يوم آخر فمزقها ؛ فلم يسأل عما فعل خشية أن يثور حسه الرهيف فيجهد جسمه النحيف .

ولما التحق شاعرنا بكلية هنرى الرابع لقى من رفقائه أذى كثيراً : كانوا يسخرون منه ويهزأون به ويسمونه « بالآنسة » لشعره الأشقر الجعد ، ولربطة عنقه الزاهية . فكان يصبر صبراً جميلاً ، ويدعهم يلعبون ويمرحون ؛ حتى إذا ما أتى الامتحان أراهم الجد كيف يكون، والجوائز كيف تنال !

وما كاد ينهى درس الفلسفة حتى ظهر ميله للأدب، ولكنه كان يريد أن يبرع فيه. كتب ذات مرة إلى صديقه «بول فوشيه» يقول له :

جورج صاند

« أنا لا أريد أن أكتب الآن ، فإذا كتبت فيجب أن أكون شكسبير أو شيلر . »

ودرس شاعرنا الحقوق وقليلاً من الطب ، وعنى بالرسم والأدب والموسيقى . وتركته أسرته يفعل ما يشاء ، فلم يكن بحاجة إلى العمل الذى يدر المال ، وكان الزمان أنيقاً والعيش رقيقاً وأهله كما قلنا من ذوى اليسار

واستطاع صديقه « فوشيه » أن يعقد أواصر الصداقة بينه وبين هوغو ، وأن يدخله فى مجمعه الأدبى فتعرف هناك على «دفينى» و « دوماس » والنقادة « سانت بوف » .

وكان هـذا النفر يقضى أمساء الآحاد عند القصصى الكبير

«شارل نوديه» مع «لامرتين» و«بلزاك» و«جيرار دي نرفال[١]» العاشق المجنون و«غوتييه» و«دي لا كروا» ؛ فكانوا يستمعون إلى أقاصيص «نوديه» ويتناشدون الشعر في حين تجلس ابنة صاحب الدار «ماري» إلى البيان «ورأسها الجميل الأشقر يلمع كالشقيقة بين سنابل القمح كما يقول موسيه ، وأناملها الناعمة تتنقل هنا وهناك ، ونحن نستمع إلى الشعر ، أو نجد في الرقص»

وكان موسيه إذ ذاك وضيء الطلعة متلألئ الوجه يخلب الفتيات . حتى ليصفه «بانفيل» بأنه كان «كالإله الشاب الجميل تجعد شعره المسترسل إلى كتفيه كأنه المروج الراعش تحت أشعة الشمس» ؛ فأخذ يغشى المجالس ويتنقل بين الفتيات ، وينظم الأشعار ويكتب أقاصيص أسبانيا وإيطاليا . فردد الناس اسمه ، ثم جذبه المسرح نحوه ، فإذا بصاحب «الأوديون» يطلب منه مسرحية شديدة الحماسة : فكتب الشاعر «ليلة البندقية» فمثلت «بين الصفير والضجيج» وباءت بفشل عظيم .

على أن هذا الفشل لم يبعد شاعرنا عن المسرح ، فلقد كتب بعد ذلك مسرحيات كثيرة أخفق بعضها ونجح بعضها ، واستطاع بفضل ذلك أن يصبح محرراً أدبياً لمجلة «باريس» و«الطان» . ثم نشر أشعاره في مجلة «العالمين» . وفي هذه الفترة مات أبوه .

عندئذ عاش فتى مغامراً يرتاد الملاهي ، ويضاحك الحسان ، ويعاقر الخندريس . والتقى ذات يوم بجورج صاند ، وكانت قد نبه ذكرها ، واشتهرت بأقاصيصها ومغامراتها ، وصرمت حبال «ساندو» عشيقها ... فأعجبته وأعجبها ، ثم دعته بعد أيام إلى دارها وهناك تعاهدا على أن يبقيا صديقين ويعيشا معاً

وبدأ الحب يشب وينمو ، فعاش معها في عالم زاخر بالأماني مائج بالرؤى ، فظللته بعطفها ووصلها ، وأذاقته طعم الوجد والهوى ، وأسمعته أغاني الحب فسكر وانتشى ، وعاش معها في غيبوبة رف النعيم في جنباتها ، وضحكت على حفافيها المنى : قصف ، جنون ، لهو ، شباب ، لذة ، سكر . تلك كانت حياتهما ؛ على أنهما لم يتمتعا بهذا كله طويلاً وأتت رحلتهما إلى إيطاليا ليذهب كل شيء ... وليودعا آمالها الضاحكات ، ويعود الشاعر إلى وطنه ليمعن في البكاء

فلقد أرادت جورج أن تذهب إلى (البندقية) مدينة الحب والشعر ؛ فلم ترض أمه عن هذه الرحلة خوفاً على ابنها . فأقسمت لها جورج لتعنين به العناية كلها . وسافر العاشقان إلى البندقية فوصلا إليها في يونية من عام ١٨٤٣

وكانا لا يزالان في نشوة الحب وفوران الأحلام . فعاشا بها أياماً لذة كانت آخر أيام الهوى ؛ فقد أصابت جورج حمى منذ مرت على البندقية في جيئتها ، فعني بها الشاعر ؛ ثم مرض ألفريد بعد شهور ، فأحضرت له طبيباً اسمه «باجيلو» أعجبها ... فتركت موسيه في غرفته مريضاً وتبعت الطبيب ، فتخاصم الشاعر وحبيبته وانكب على الخمر يعاقرها لينسى الفاجعة التي أصابت حبه وقلبه ، ثم ترك جورج مع الطبيب وعاد إلى باريس وحيداً

لم ينس موسيه في باريس جورج . فكان يمر على مغاني حبهما ، ينظر إليها فيذكر ليالي الوصل ، فتشجيه الذكرى ويعود إلى نفسه يذرف الدموع ، وينظم «الليالي» ويتسلى بالرسائل التي كانت ترسلها إليه وتنصح له أن يحب غيرها ، وأن يتذوق الملذات كلها ، «ليرتشف قلبك لذات الحياة جميعها ... ولكن ليؤد رسالته جيداً لتستطيع أن تردد يوماً إذا نظرت إلى الماضي فتقول : لقد تألمت كثيراً وخدعت أحياناً ، ولكني ارتشفت وأحببت ... لقد عشت أنا بنفسي ... لم أكن شخصاً خلقته كبريائي وأوجده وهمي ... »

وانكب شاعرنا يكتب ويؤلف ، ثم عمد إلى اللذات يرتشفها وإلى الخمور يعاقرها ، وهو يتألم ويبكي ويقول :

«دع هـذا الجرح المقدس ... دعه يتسع»
«فلا شيء يجعلنا عظماء ... كالألم الشديد ... !»

وفي سنة ١٨٤٨ قبل الشاعر في المجمع العلمي الفرنسي عضواً ، وهو في إحدى الحانات ... على أنه لم يتمتع بالعيش بعد جورج أبداً : فقضى حياة بائسة ، وخبت تلك العبقرية الوهاجة وانطفأ ذلك الذكاء المشع ، وغاض الجمال الخلاب ومات وله من العمر سبعة وأربعون عاماً وهو يقول :

«وأخيراً ... أريد أن أنام ... !»

«دمشق» صموع السيد الحمر

(١) أنظر مقالنا عنه في العدد ٣١٠ من «الرسالة»

معهد التناسليات
معهد التناسليات لمؤسسه الدكتور [illegible] بالقاهرة
بعمارة [illegible] ٢٥٧٨ [illegible]
[illegible] التناسلية والعقم عند الرجال والنساء [illegible]
[illegible] الحديثة [illegible] العلمية
والعيادة من ١٠ - ١ ومن ٤ - ٦ - ملاحظة : [illegible]
[illegible]